جُذُورُ عِلْمِ اللِسَانِيَاتِ مِنْ خِلَالِ المُصْطَلَحَاتِ المُرَادِفَةِ لَهَا فِي الدِرَاسَاتِ اللُغَوِيَةِ العَرَبِيَةِ

د. بن جلول جلول ،أستاذ اللغـــويات جامعة ابن خلدون- تيارت

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إيجاد العلاقات المنطقية بين اللسانيات كعلم حديث والدراسات اللغوية السابقة كدراسات لها امتداداتها في الحاضر، وذلك من خلال المصطلحات العلمية التي اطلقت على علم اللغة في التراث العربي القديم كالنحو والعربية وفقه اللغة وغيرها مما استعمله علماء العربية كسيبويه وابن جني وابن الانباري والسيرافي وغيرهم من الاعلام، وليس من وراء ذلك السطو على انجازات الآخرين؛ إنما رسم خريطة مفاهمية لعلم اللسانيات وفق مركباتها الصحيحة التي استمدتها تاريخيا من الدراسات السابقة عربية كانت أو غير ذلك، من الدراسات اللغوية أومن غيرها كعلم الميكانيكا والحركة، وذلك كله لإثبات تراكمية العلم الذي لا يقر بقومية ولا عرقية ولا فترة تاريخية ولا رقعة جغرافية.

الكلمات المفتاحية : اللسانيات، النحو، علم اللغة، فقه اللغة، الميكانيكا، التزامنية، الآنية.

Résumé :

Cette étude à pour objet de trouver les relations logiques entre la linguistique comme une discipline contemporaine et les études précédentes portant sur la langue et ayant un prolongement au présent et ce à travers les termes (dénominations) donnés à la linguistique dans le patrimoine arabe ancien tels que : la Grammaire, l'Arabe, la Philologie et bien d'autres termes employés par des savants de la langue arabe à l'image de Sibawayh, Ibn Djinni, Al-Anbari, Al-sirafi… etc.

Cette étude ne se veut nullement être une appropriation abusive des exploits des autres mais une tentative de dresser une carte notionnelle de la linguistique selon des composantes qu'elle a historiquement tirées des autres études, arabes soient-elles ou non, portant sur la langue ou relevant des autres domaines comme la Mécanique , et ce dans une optique de démontrer l'aspect cumulatif de la science qui tient compte ni d'ethnie, ni d'histoire ni de frontière géographique.

Mots clés : Linguistique, Science du langage, Philologie, Mécanique, Synchronie, Diachronie

مدخل :

من طبائع الامور أن لا تولد دفعة واحدة، فهي تمر بمراحل نمو؛ شأنها في ذلك شأن الكائن الحي، فالرجل السوماري الذي اكتشف العجلة قبل أربعة آلاف سنة يعتبر مساهما في تصنيع سيارة بيجو ومرسيدس؛ بل ويمكن اعتباره موظفا لدى هذه الشركات وإن تباعد الزمن بينهما لأن العجلة تعتبر العمود الفقري لكل هذه النظم التكنولوجية. وعلوم اللغة لا تشذ عن هذه القاعدة، فكل علم له صور في الدراسات السابقة ساهمت في نضجه، ولكن هذا لا يعني أن السابق له الحق المطلق على اللاحق؛ إنما المقصود الاشارة إلى الجهود المبذولة في تكوين هذا العلم أو ذاك ونسب كل جانب منها إلى أصحابها.

ومن علوم اللغة التي شغلت حيزا كبيرا في العصر الحديث اللسانيات، والتي اقترن بها اسم شخص واحد وهو دي سوسير (ت 1916) وكأنه هو الواجد لها دون مساعد أو معيل، وقبل أن نتكلم عن اسهامات اللغويين السابقين عربا كانوا او غير ذلك، نذكر اسهامات علماء آخرين في غير الدراسات اللغوية، فدي سوسير قبل أن يكون لغويا كان عالما في علم الميكانيكا والحركة، فلا شك من أنه استفاد من علماء هذا الاختصاص الذي كان له الدور الأساسي في نظريته قبل القضايا اللغوية، فالقاسم المشترك بين الجانب اللغوي في نظريته والميكانيكا والحركة هو مفهوم التزامن واللاتزامن **synchrone et asynchrone**، فهذا المفهوم تنبني عليه حركية الاجسام، فلا يمكن لأي جسم التحرك إلا إذا ارتكز على جسم ثابت، والحركة والثبات نسبيان لأن الكل في حركة مستمرة كما قال بذلك الفزيائي الشهير **ألبارت أنتشتاين** (ت 1956) في نظرية النسبية العامة موافقا لقوله تعالى في سورة الانبياء ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[1]

وتعتبر ثنائية الحركة والثبات في علم الفيزياء شرطا أساسيا لتحديد سرعة المتحرك وقياس المسافة المقطوعة والزمن المستغرق، فلو فرضنا جدلا تحرك الثابت بنفس سرعة الجسم المتحرك وفي نفس اتجاه حركته فستكون كل النتائج المقاسة لحركة هذا الجسم صفر. من هذا المفهوم انطلق دي سوسير في نظريته القائلة بعدم امكانية دراسة اللغة موضوعيا؛ إنما الكلام هو الذي يصلح أن

[1] سورة الانبياء الآية 33

يدرس موضوعيا، لأن اللغة كائن غير قار فهي هلامية لا يمكن تحديدها من الناحية الشكلية لذلك نجد حدود وتعاريف اللغة متنوعة بتنوع النظريات اللغوية.

إلى حد ما نظرية دي سوسير موضوعية، وذلك انطلاقا من التسمية الجديدة لعلم اللغة " اللسانيات " **linguistique** وهذا المصطلح المتعلق بعضو بشري وهو اللسان وبحركيته أثناء انتاج الأصوات وهو قاسم مشترك بين البشر حديثا وقديما، فاللغة الناتجة في أي عصر من العصور متأثرة بطبائع هؤلاء البشر وخاضعة لثقافاتهم وتصوراتهم للأمور وكيفية التعامل معها، وهذا يعني أن اللغة صناعة بشرية لا تتدخل أي قوة في صناعتها وبذلك تكون نظرية التوقيف ونظرية المحاكاة ملغاة. إن التسليم بهذا الراي ممكن جدا مع اللغات الهندوأروبية لأنها لغات نتجت من حطام اللغات القديمة كاللغة اللاتنية و **اللغات الفنلندية- الأوغرية** وهي " **مجموعة من اللغات ضمن عائلة اللغات الأورالية، وتضم العائلة الفنلندية - الأوغرية ثلاث لغات على رأسها الفنلندية والإستونية والهنغارية وما يتصل بها من لغات. وتشمل عائلتي اللغات الفنلندية البيرمية واللغات الأوغرية.**"[1]

أما بالنسبة للغة العربية فهذا لا يمكن أساسا لأن اللغة العربية التي احتفظت بنظامها على جميع مستويات التحليل اللغوي يؤكد أنها ليست من صنع البشر، وهنا لابد للإشارة إلى أمر جد مهم متعلق بماهية اللغة، فاللغة ليست مجرد الألفاظ وعلاقاتها بمسمياتها؛ إنما اللغة النظام الترابطي بين هذه الألفاظ والذي سماه عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) بالنظم، فإذا أخذنا على سبيل المثال مستوى من هذه المستويات وليكن المستوى الصوتي فإننا نجد الأصوات في اللغة العربية مرتبة وفق نظام يتماشى مع حركية أعضاء التصويت بحيث تنساب حركة الاعضاء بوتيرة متزنة دون عرقلة أو حبس أو استطالة يستحيل معها اكمال الصوت، وحتى وإن تواجدت بعض المشكلات فالنظام الصوتي العربي أوجد لها مخارج، ولنأخذ ظاهرة الاتباع مثالا، ففي بعض الحالات ينتج هناك ثقل في الربط بين صوتين فيتنازل صوت عن حركته من أجل السماح للصوت الثاني بالخروج بحرية، ففي قوله تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا**

[1] انظر : الموسوعة الحرة ويكيديا على الرابط التالي : ar.wikipedia.org/wiki/لغات_فينية_أوغرية

زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ }[1] فكلمة خُطُوَات مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم؛ ولكن مفرد كلمة خطُوات بضم الطاء هو خطْوة بتسكين الطاء فيتضح أنه ليس جمعا سالما من هذه الناحية الشكلية، بينما الناحية الاولى؛ أي الاعرابية فهو جمع مؤنث سالم، وللتوفيق بين هاتين الناحيتين المتناقضتين شكلا هو أن ضمة الطاء في الجمع ليست ضمة بناء إنما هي ضمة تخضع للنظام الفنولوجي لموافقة الضمة التي قبلها؛ ضمة الخاء، وسماها علماء اللغة **بالاتباع**، وذلك ليجري الكلام منسابا كما يجري الماء في الواد رقراقا.

اللسانيات ومصطلحات علم العربية القديمة :

إننا نحن العرب لم تكن لنا قبل الاسلام دراسات معمقة في شتى المجالات لا سيما منها اللغوية، وذلك راجع للنظام الاجتماعي الذي كان سائدا في الجزيرة العربية والذي كان يعتمد فيه على كثرة الترحال وقلة الحل، ومن ناحية اخرى الانغلاق على النفس وعدم مخالطة الاقوام الاخرى إلا في المناسبات كرحلتي الشتاء والصيف، هذه الظروف هي التي كانت حائلا بيننا وبين الدراسات المعمقة للظواهر الانسانية، لأن الدافع لهذه الدراسات هو معالجة الاعوجاج الذي يلحق كل ظاهرة من هذه الظواهر، واللغة ظاهرة والانغلاق الذي تحدثنا عنه آنفا كان بمثابة تطعيم ضد اعوجاج اللسان، فقد قال الله تعالى واصفا القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين { **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ** ۝١ }[2]

ولكن بعد انتشار الاسلام ودخول الأقوام فيه لحق اللحن باللسان العربي فكان لزاما على العرب من التوغل في اللغة والوقوف على خباياها حتى تحمى من فوضى اللحن، فظهرت الدراسات اللغوية مع بداية القرن الاول الهجري مع أبي الاسود الدؤلي (ت 69 ه) ونصر بن عاصم (ت 89 ه) وكان أول مصطلح علمي اطلق على الدراسة اللغوية مصطلح النحو، فقد أشارت النصوص التاريخية أنه بإيعاز من الامام علي بن أبي طالب وفي رواية أخرى من زياد بن أبيه، قال السيرافي (ت 368 ه) " **اختلف الناس في أول من رسم النحو: فقال قائلون أبو**

[1] سورة النور : 21

[2] سورة الكهف : 01

الأسود الدؤلي، وقال آخرون : نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال الليثي، وقال آخرون عبد الرحمن بن هرمز. وأكثر الناس على أبي الأســـود الدؤلي "[1]، وإذا تتبعنا مفردات هذا العلم فإننا سنجده يشمل جميع علوم اللغة من إعراب وصرف وصوت وبلاغة وأسلوب، فكتاب سيبويه الذي يعتبر أول مصنف في هذا الميدان تناول عدة قضايا مدرجة حاليا في البلاغة وغيرها من علوم اللغة.

وبعد تأليف المازني (ت 247 هـ) لكتابه التصريف بدا جليا أن اللغة تشمل طبقات من المستويات، حيث ينفرد كل مستوى بدراسة جانب معين من نظامية اللغة، هذا الكتاب أعطى الضوء الأخضر لمن جاء بعده في التأليف المتخصص فبدأت الدراسات الصوتية في معزل عن كلية اللغة وكذا الدراسات الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية. وإذا قارنا ما ألف قبل المازني بما ألف قبله فإننا نجد ان السابق اتصف بالشمولية والتكاملية والثاني اتصف بالانفرادية والتفاضلية، وقد ساهم هذا الانتقال في التأليف إلى وضع النحو (الإعراب) في دائرة ضيقة جدا جعلت منه مادة مستعصية على الفهم والادراك عكس ما كان عليه النحو (علم اللغة) قبل المازني، فعلى الرغم من الاختلافات بين المدارس النحوية؛ سواء من جانب المنهج (استقرائي / وصفي) او المرجعية الفكرية (العقل / النقل)، إلا ان الرؤية للمكون النظامي للغة كان جد واضح، وما مخالفة الكوفة للبصرة في جل تخريجاتها النظرية لعلم النحو إلا دليلا على الاستيعاب العميق للمدركات الفكرية لهذه المدرسة. والتنوع في مرجعيات هذه المدارس عند التنظير لأي ظاهرة لغوية يكشف عن وعي عميق لأثر المستويات الخارجية في تشكيل النظام اللغوي؛ فالفلسفة والمنطق والمنهج الرياضي الذي اعتمده كثير من علماء اللغة القدماء دليل على هذا الوعي المبكر الذي نادت به المدارس اللسانية الحديثة وعلى رأسها البنيوية الديسيسورية, إن لسانيات القرن التاسع عشر والقرن العشرين تجسدت حداثتها في الجانب الشكلي فقط، أما الجانب المعنوي فهي عودة إلى الدرس اللغوي القديم سواء عند العرب أو غيرهم.

اللسانيات والنحو العربي بمفهومه القديمي :

من مزايا الدراسات العربية القديمة عند علماء العربية درجة الوعي التي جعلتهم يحددون مجالات علوم اللغة بدقة متناهية فقد قسم ابن خلدون علوم اللسان العربي إلى أربعة أركان هي :

[1] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1955، ص 10

النحو، اللغة، البيان، الأدب، انطلاقا من العلاقة بين كل من المجتمع والتاريخ واللغة، " **والذي يتحصل أن الاهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة.**"[1] لذلك اهتم العلماء الاوائل بالنحو وجعلوه محطة انظارهم، خاصة لما أصبح المكيال الحقيقي للمنطوق العربي وعلى رأسه القرآن المكريم والحديث النبوي الشريف.

وهذه الاهمية كانت سببا في تعدد تعاريفه وحدوده، فقد اختلفت كما اختلفت مشارب العلماء جغرافية وتاريخا ايديولجية وعرقا، من التعاريف التي ارتقى بها علم النحو تعريف ابن عصفور (ت 669 هـ) القائل النحو " **علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها.**"[2] إن تعريفا مثل هكذا يحصر النحو في القولبة ويجرده من الأنسنة، وهذا مخالف إلى حد كبير طبيعة اللغة أصلا، فالمعيارية النحوية هي أصلا استعمال حر في بدايات نشأة اللغة ثم تحول إلى نظريات لاطراد جزئياته في لسان الانسان، ولكن هذا لا ينفي الاطار المحدد والموجه للسان العربي وغنما المقصود أنه ليس الوحيد المشكل لهيكل اللغة فهو عامل من العوامل المشكلة للنظام اللغوي، فالخلوصات والانزياحات عن المعيار هي في حد ذاتها معيار.

إن نحو الجملة لبنة لابد من احكان نظامها ليتسنى لنا في عملية التركيب الجملي تحديد احداثياتها داخل السيل الكلامي، فهو؛ أي نحو الجملة كما قال المرادي(ت 749 هـ) " **علم يعرف به أحكام الكلمة العربية إفرادا وتركيبا،**"[3] فإذا قارنا ووازنا بين التعريفات التي وردت في مجال النحو والتعريفات التي وردت في مجال اللسانيات فإننا سنجد جملة من التقاطعات الجوهرية تعتبر عصب الدرس اللغوي القديم والحديث على حد سواء، جاء في الخصائص أن النحو " **هو انتحاء سمت كلام العرب ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة،**"[4] فهذا التعريف يلامس شطر اللسانيات الحديثة المتمثل في الصوتيات، فقد ركز شيخنا على المستوى الصوتي، لا لعدم علمه بالمستويات الاخرى أو لاعتقاده بعدم أهميتها، وإنما لأنه أدرك أن هذا المستوى هو الفيصل

[1] المقدمة، ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ط2، ص1055

[2] المقرب، لابن عصفور، ت : أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، دون دار نشر، ط1، 1972، ج1، ص 45

[3] توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي، ت: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ج1، ص 265

[4] الخصائص، ابن جني، ت : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، دت، ج2، ص

بين النظام اللغوي الانساني والأنظمة اللغوية الاخرى الغير انسانية من خلال التقطعات الصوتية في اللسان البشري، وهو ديدن اللسانيات التي جعلت النظام اللغوي في شقين هما (الصوت / الدلالة) وجعلت من المستويات الاخرى أدوات لخدمة هذين الشقين، بل واعتبرت؛ أي اللسانيات، الصوت أساس اللغة وأطلقت علية مصطلح فونيم وأخضعت التنوع الدلالي للمفردات إلى التنوع الفونيمي أو ما اطلق عليه بالتبديل **substitution** وهو احلال صوت مكان صوت آخر، وهذا كثير في فكر ابن جني فقد قال في الخصائص " **فاما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه ماموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذون عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره،**"[1] فهو بالإضافة إلى الاشارة إلى هذه الظاهرة يعلل سببها وهو الربط بين الصوت والدلالة ربطا موضوعيا وهو خلاف دي سوسير الذي جعله اعتباطا، والقاسم المشترك بينهما انهما أشار إلى العـــــلاقة بين (الصوت والمعنى) أو (الدال والمدلول)، وضرب لنا ابن جني امثلة من اللغة فقد قال مستأنفا حديثه بما قاله العرب من أ " **النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح قال الله سبحانه وتعالى (فيهما عينان نضاختان)[2] فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه.**"[3] فأي علمية وموضوعية بعد هذا يا أولي الألباب ؟

وأبعد من ذلك ذهب ابن جني، فعلى الرغم من أن القدامى لم يدركوا كليا قيمة الحركات كونها أصواتا إلا أنهم لامسوا هذا المفهوم من خلال وظيفتها في البناء اللفظي وعلاقته بدلالة اللفظة وما يمكن أن تلعبه الحركة في التمييز بين الصفات المشتركة بين الأجناس المختلفة، فقد قال ابن جني " **الذِل في الدابة ضد الصعوبة، والذُل للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الانسان أكبر قدرا مما يلحق الدابة.**"[4]

لقد ذكر كثير من الغربيين أن الجذور الأولى المشتركة بين الكلمات تشترك في معنى عام، وهو نفس ما ذهب إليه ابن جني في الاشتقاق عندما جعل الجذر الثنائي (قط) الذي يعني الفصل عند زيادة جذر ثالث فإنه يحتفظ بالمعنى العام وهو الفصل فـ (قطع / قطف / قطم /

---

[1] الخصائص، ابن جني، ج2، ص 157

[2] سورة الرحمن : 66

[3] الخصائص، ابن جني، ج2، ص 158

[4] المحتسب، ابن جني، ت : علي النجدي ناصف وآخرون، القاهرة، 1368هـ، ج2، ص 18

قطر / قطب) كلها تشترك في المعنى العام الفصل. وبذلك يكون ابن جني (ت 392 ه) أول من تخصص في علم الاصوات من خلال كتابه سر صناعة الاعراب بعدما ميز بين الصوت والحرف و ربطه الاصوات المكونة للفظة بدلالتها .

لم يكن ابن جني وحده المتفرد بهذا السبق؛ بل جل علماء العربية القدامى كانوا يحملون هذه الابعاد الفكرية والموضوعية للدراسة اللغوية، فابن سينا (ت 428 ه) سبق الكثير من القدامى والمحدثين في الدراسة التجريبية و ذلك من خلال عملية تشريح جهاز النطق، وميز من خلالها بين القيم الصوتية المختلفة للحرف الواحد في مواضع مختلفة، فقد حدد قيمتين لكل من الواو والياء، قال في مصنفه المعروف بأسباب حدوث الحروف " **والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين واعتماد في الاخراج على ما يلي فوق اعتمادا يسيرا, والياءان تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلا، وكل صغرى فهي واقعة في أصغر الأزمنة، وكل كبرى ففي أضعافها.**"[1] هذا التدقيق في القيم الصوتية لكل من الواو والياء يظهر جليا عند دانيال جوز في تعريفه المادي للفونيم باعتباره " **عائلة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص ، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر.**"[2]

ويعتبر ابن سينا مجددا في عصره لمثل هذه الدراسة العلمية، فهو على الرغم من استفادته من السابقين كسيبويه والخليل وغيرهم إلا انه حدد العتبات التي وقفوا عندها وانطلق مواصلا الدراسة اللغوية بمنهج علمي محض يعتمد كما أسلفا على المعيارية العلمية، فقد قال رمضان عبد التواب عما ذكره ابن سينا في كتابه أسباب حدوث الأصوات أنه " **أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء، فلا نكاد نلمح أنه تأثر كغيره بكتاب سيبويه فله مصطلحاته وله وصفه الأصيل لكل صوت.**"[3] ولم يكتفي ابن سينا في دراسته على اللغة العربية فحسب بل راح يقارن الأصوات العربية بأصوات اللغات الأخرى وشبه أصوات الانسان بأصوات الطبيعة، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على الوعي المبكر في التراث العربي في دراسة اللغة ككل وكنظام انساني وهو ما تركز عليه اللسانيات الحديثة.

---

[1] أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ت : محمد ح صان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، 1982، ص 126

[2] دراسة الصوت اللغوي عمر احمد مختار , القاهرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1992، ص 177

[3] فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، دار المسلم للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1979، ص

اللسانيات والعربية كمصطلح :

يرى كثير من العلماء أن الدرس العربي استعمل مصطلح العربية كمصطلح على نظام اللغة، فقد جاء في الأثر عن ثعلب انه قال قال ثعلب " **في سنة تسع ومئتين طلبت اللغة والعربية،**"[1]وهذا يشير إلى التداخل البين مع مصطلح النحو، واستلوا هذا التزاوج بين المصطلحين مما ورد في التراث العربي، فعن السيرافي (ت ... هـ) رحمه الله في تحديد أولية علم النحو ومن باشره يقول " **أول من وضع العربية أبو الأسود الدِلي،**[2] "[3]وليس مقصوده اللغة العربية لان أبا الأسود الدؤلي عربي حق؛ وإنما مقصوده النحو، ومما يؤكد هذا الترادف بين العربية والنحو ما قاله ابن سلام الجمحي (ت 231 هـ) في سفره طبقات الشعراء، حيث قال " **وكان أول من أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الاسود الدؤلي وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل وكان رجل أهل البصرة وكان علوي الرأي. قال يونس هم ثلثة الدُول من حنيفة ساكن الواو والدِيل في عبد القيس ساكنة الياء والدُؤل في كنانة رهط أبي الاسود وإنما قال ذاك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقية فكان سراة الناس يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم.**"[4]

ومن ألفوا في العربية أبو البركات بن الأنباري (ت 477 هـ) فكتابه أسرار العربية موضوعاته كلها في النحو، ويذكرها صراحة في مؤلفه الانصاف في مسائل الخلاف بين الكوفة والبصرة واصفا إياه أنه " **أول كتاب صنف في علم العربية.**"[5]

وانطلاقا من أن اللغة العربية لا تقر بالترادف المتطابق بين ألفاظها، فإن تداخل هذين المصطلحين إنما جاء نتيجة للتداخل بين المصطلحين فركزوا على الجانب المشترك بينهما، وإذا نظرنا

---

[1] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1955، ص

[2] اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدُئل بن بكر بن كنانة ... والنسبة إلى دُؤلي، كما ينسب إلى نمر ونمرى، فيفتح استثقالا للكسرة، ويجوز تخفيف الهمزة، فيقال الدولي بقلب الهمزة واو محضة، لان الهمزة إذا انفتحت وكان قبلها ضمة ، فتخفيفها بقلبها واوا محضة، كما يقال في جُؤَن جُوَن. وقد يقال الدِلي، بقلب الهمزة ياء حين انكسرت، فإذا انقلبت ياء كسرت الدال لتسلم الياء، كما تقول : قيل وبيع, ينظر : أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص 10

[3] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1955، ص 13

[4] طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، ت : جوزف هل، طه أحمد ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2001، ص 26

[5] الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ت : جودة مبروك محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص 3

جليا في العربية كنظام والنحو كنظام فإننا سنجد أن العربية تجاوزت المعيارية والنحو التزم بالمعيارية إلى حد ما فـ " **اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه؛**"[1] أي ان النحو يبني قوالب من العربية ليجعلها ميزان يقاس به الكلام فيما بعد، وهذا الفرق في الحقيقة متوهم، فالنحو والعربية متلازمين وهو حد النحو أصلا خلاف ما شاع فيما بعد من أن النحو يتتبع أواخر الكلم.

وعليه فإن الفرق جلي بين النحو والعربية كنظامين للسان فقد نسب السيرافي نظام اللغة لأبي الاسود الدؤلي تارة بالنحو وتارة بالعربية استنادا على مراجع سبقته كأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) و محمد بن عمران بن زياد الضبي (ت 296 هـ) و يحي بن آدم (ت 303 هـ) فقد قال " **وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو : ....** "[2] فسمى النظام بالنحو ولكم جعله رسما، وقال في موضع آخر عن أبي الأسود الدؤلي " **جاء أبو الأسود الديلي إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية فأبى، قال : فأتاه قوم، فقال أحدهم : أصلحك الله، مات أبانا، وترك بنون، فقال علي بأبي الأسود، ضع العربية.**"[3] وهنا سمى النظام بالعربية ولكن جعله وضعا.

و لما تحدث عن الآراء التي تنسب هذا النظام اللغوي لنصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ) لم يسمه إلا بالعربية، فقد قال " **وأما نصر بن عاصم فقد روى محبوب البكري، عن خالد الحذاء، قال : سألت نصر بن عاصم، وهو أول من وضع العربية : .....** "[4] فلا يكون يقص بالعربية الكلام وإنما استنباط النظام الذي تسير عليه العربية.

---

[1] الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، ت : حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص

[2] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1955، ص 11

[3] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1955، ص 13

[4] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1955، ص 15

اللسانيات بين علم اللغة وفقه اللغة :

لقد كثر الحديث في الدرس اللغوي الحديث بين علم اللغة وفقه اللغة من أجل رسم حدود ومعالم تبين مجالات كل جانب منهما، وذلك بسبب التداخل بينهما لدرجة يصعب فيها التمييز بينهما، ونفس الشيء حدث في التراث العربي القديم فقد تداخلت موضوعات العلمين، مما جعل بعض العلماء يحددون مجال كل علم منها، فعلم اللغة بطبيعة الحال هو السابق فكل الدراسات الاولية كانت تصب فيه، أما مصطلح فقه اللغة فأول ما مرة ظهر كان في القرن الرابع الهجري مع ابن فارس (ت 395 هـ) في كتابه الصاحبي وبعده الثعالبي (ت 429 هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية، درسوا ألفاظ اللغة العربية وتصنيفها ودلالاتها وناقشوا بعض القضايا المهمة كنشأة اللغة والترادف والمشترك اللفظي، وكانت هذه المواضيع خارج عن ميدان النحو الذي كان سباقا، وليس ظهور هذا المصطلح مع هذين العلمين ينفيه في الدراسات السابقة، فهذه القضايا درست ولكنها في كل متكامل، وقد نجد مواضيع فقه اللغة عند الكثير من العلماء لكن من دون تحديد المصطلح العلمي (فقه اللغة)، فكتاب ابن جني (ت 392 هـ) الخصائص يعج بهذه الموضوعات، وكذلك ابن سيده الاندلسي (ت 458 هـ) عالج نشأة اللغة، المشترك اللفظي، الابدال، التعريب، وكلها من مواضيع فقه اللغة.

أما ابن خلدون فقد وضح سبب بروز جملة من مواضيع علم اللغة على السطح معرفا إياها بفقه اللغة قائلا " **لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة بها. فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال ، واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام بكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الانسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح.**"[1]

ويرى كثير من الدارسين أن علم اللغة بمفهومة الحديث ظهر في الدرس العربي القديم بعدما استوى العلماء معيارية النحو التي تبدو محدودة في اطر نظرية، فقد ذكر السيرافي (ت 368 هـ) هذا الانتقال بقوله : " **كان من أهل البصرة جماعة انتهى إليهم علم اللغة وكانوا نحويين منهم :**

[1] المقدمة، ابن خلدون، ص

الخليل بن أحمد، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وهؤلاء المشاهير في اللغة ولهم كتب مصنفة."[1]

وقد عرفه الدكتور مطر بأنه " **العلم الذي يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض وربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع والبيئة الجغرافية."**[2]

وعرفه الدكتور رمضان عبد التواب بأنه " **العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعا له فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات بين اللغات المختلفة أو بين مجموعة من هذه اللغات ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية،"**[3] فهذين التعريفين ربطا بين علم اللغة الحديث وما كان من دراسات لغوية عند القدامى.

وقد ظهر مصطلح علم اللغة في المزهر في علوم اللغة للسيوطي (ت 911 ه) من خلال دراسته الفصيح والمعرب والدخيل، ودراسته الاصوات من حيث مخارجها وصفاتها انطلاقا مما درسه سابقوه.

ولقد تشابهت موضوعات علم اللغة وفقه اللغة لدرجة كبيرة كما أشرنا سابقا، يقول ابو حيان " **ما يحتاج إليه علم التفسير يكون من الوجه الأول علم اللغة اسما وفعلا وحرفا، فالحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة، وأما الاسماء والأفعال فتؤخذ من كتب اللغة."**[4] وقال عن علم اللغة أنه " **معرفة الاجمال والتبيين والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد دلالة الامر والنهي وما أشبه هذا،"**[5] أما ابن خلدون فقد عرف علم اللغة قائلا : " **هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية،**

---

[1] أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1955، ص

[2] علم اللغة وفقه اللغة، عبد العزيز مطر، دار قطرى بن الفجاءة، قطر، دط، 1986، ص

[3] فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، دار المسلم للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1979، ص

[4] البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1955، ص

[5] البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي

وذلك لما استمر الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى أدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية."[1]

وهناك من اطلق عليها مصطلحا جامعا كالفارابي في كتابه احصاء العلوم وكذا في رسالته كتاب التنبيه على سبيل السعادة حيث أطلق على كل العلوم اللغوية اسم علوم اللسان،[2] أما ابن الأنباري أطلق على المعارف اللغوية مصطلح علوم الادب، كما نجد أيضا كلا من أبي حيان التوحيدي والسكاكي اللذين أطلقا على علوم اللسان العربي مصطلحي علوم اللسان العربي وعلم العربية.[3]

ومن قضايا علم اللغة التي تعج بها الدراسات الحديثة قضية الملكة اللغوية، فقد تحدث عنها ابن جني من خلال ثنائية السماع والقياس، ذكرها ابن خلدون صراحة بقوله : " **اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ... والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة.**"[4] وإذا قارنا هذا التعريف بما قاله دي سوسير عن الملكة بانه مرتبطة بالجماعة لا الفرد، فإننا نجد ان التكرار اذي تحدث عنه ابن خلدون ليشكل هذه الملكة لا يحصل إلا داخل الجماعة اللغوية.

يقول تشومسكي عن الملكة اللغوية انها استعداد فطري وحركة ابداعية، وهي كما عرفها بدقة " **مجموعة من القواعد النحوية التي يستطيع المرء بها انتاج عدد غير محدود من الجمل،**"[5] فحتى وان كانت مكتسب شخصي فإنها تحتاج إلى البيئة التي يكتسبها منها وهي الجماعة.

خاتمة :

ليس المقصود من هذه الدراسة السطو على منجزات الأخرين وإنما القصد منها الوقوف على خصائص دراساتنا التراثية العلمية والموضوعية وتنزيهها مما شابها من وصف كاذب من أبنائها قبل أعدائها، والغاية الثانية وهي اثبات تراكمية وشمولية العلم وتبيين حقيقة ان العلم لا يقر بعرق ولا ملة ولا جنس ولا رقعة جغرافية ولا حقبة تاريخية، والغاية الثالثة لفت أنظار أبنائنا إلى

---

[1] المقدمة، ابن خلدون،

[2] علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1981 ص 68، 72

[3] ينظر : قضايا في العلم اللغوي، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر ، تونس 1994 ص 55 ، 160

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص 1055

[5] نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ت : يؤيل يوسف عزيز، منشورات دار العيون، المغرب، 1987، ط2، ص5

منجزات أجدادنا وما صنعوه للعلم استفاد منه الأعداء قبل الاصدقاء، والغاية الرابعة امنية علها تتحقق وهي نفض الغبار واللحاق بمستوى هؤلاء الرجال لنسير جنبا إلى جنب على الأقل مع انسان العصر المعاش.

أهم المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ت : : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1955،

أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ت : محمد ح صان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، 1982،

الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، ت : حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998،

الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ت : جودة مبروك محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص 3

البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1955، ص

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي، ت: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1،

الخصائص، ابن جني، ت : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، دت،

دراسة الصوت اللغوي، عمر احمد مختار , القاهرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1992،

طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، ت : جوزف هل، طه أحمد ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2001،

علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1981 ص 68، 72

علم اللغة وفقه اللغة، عبد العزيز مطر، دار قطرى بن الفجاءة، قطر، دط، 1986، ص

فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، دار المسلم للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1979،

قضايا في العلم اللغوي، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر ، تونس 1994 ص 55 ، 160

المحتسب، ابن جني، ت : علي النجدي ناصف وآخرون، القاهرة، 1368هـ،

المقدمة، ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ط2،

المقرب، لابن عصفور، ت : أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، دون دار نشر، ط1، 1972،

البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ت : يؤيل يوسف عزيز، منشورات دار العيون، المغرب، 1987، ط2،

الموسوعة الحرة ويكيديا على الرابط التالي :

ar.wikipedia.org/wiki/ لغات_فينية_أوغرية